الصراع

بين أصحاب العقيدة والإيمان وأهل الكفر والطغيان

(في ضوء سورة البروج)

مجيب الرحمن عتيق الندوي

ملتزم الطبع والنشر

معهد الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي

للدعوة والفكر الإسلامي

الصـــــــــــراع

بين أصحاب العقيدة والإيمان وأهل الكفر والطغيان

(في ضوء سورة البروج)

مجيب الرحمن عتيق الندوي

ملتزم الطبع والنشر

إداره تحقيق وفكر إسلامي، سنبهل

حقوق الطبع محفوظة

إسم الكتاب: الصـــــراع بين أصحاب العقيدة والإيمان وأهل الكفر والطغيان في ضوء سورة البروج

المؤلف: مجيب الرحمن عتيق الندوي

الطبعة : الأولى 2014م

الطبعة : الثانية 2018م

ثمن النسخة: 50 روبية

<u>للتواصل</u>

Mujeebur Rehman Ateeq Nadwi

Email: Mujeeb_ateeq@hotmail.com

Abulubaba.nadwi@gmail.com

Contact: +91-9897971203

www.mujeebnadwi.com

سورة البروج

وهي مكية كلها بإجماعهم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ * وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ * وَشَـٰهِدٍ وَمَشْـهُودٍ * قُتِـلَ أَصْحَـٰبُ ٱلأخْـدُودِ * ٱلنَّـارِ ذَاتِ ٱلْوَقُـودِ * إِذْ هُـمْ عَلَيْهَـا قُعُـودٌ * وَهُـمْ عَلَـىٰ مَـا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُـواْ بِٱللَّـهِ ٱلْعَزِيـزِ ٱلْحَمِيـدِ * ٱلَّـذِى لَـهُ مُلْـكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأرْضِ وَٱللَّـهُ عَلَـى كُـلِّ شَـىْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُـواْ فَلَهُـمْ عَـذَابُ جَهَـنَّمَ وَلَهُـمْ عَـذَابُ ٱلْحَرِيـقِ * إِنَّ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلانْهَٰرُ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِىءُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلْوَدُودُ * ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ *
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ * وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِمْ
مُحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه، أما بعد

يسرني أن أقدم هذا الكتاب مرة ثانية إلى القراء والدارسين مع تعديلات بسيطة، وبعض الإضافات اليسيرة،وقد طبع هذا الكتاب عام 2014م وتفدت طبعاته، وأحمد الله تعالى على أنه وفقني لخدمة دينه وكتابه، وهذا الكتاب الموجز خواطر ووقفات إيمانية في سورة البروج، رتبتها وجمعتها من سلسلة المحاضرات في التفسير الموضوعي التي كنت ألقيها في جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وقد كتبت بهذا الصدد في ضمن المحاضرات حول عدة موضوعات أخرى، وستطبع إن شاء الله قريبا،

وأشكر فضيلة الأستاذ الدكتور خالد حسن هنداوي حفظه الله ورعاه رئيس رابطة الأدب الإسلامي في قطر على رعايته واهتمامه بطباعة هذا الكتاب، فجزاه الله خيرا وبارك فيه،

وأرجو من الله المولى أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع، ويجعل ذلك في ميزان الحسنات، يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأدعو الله أن يعم نفعه، ويوفقنا للمزيد من الأعمال العلمية، والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على النبي الأمي،

مجيب الرحمن عتيق الندوي

دار العلوم الإمام الرباني_ نيرل

5/ ربيع الآخر 1440

بسم الله الرحمن الرحيم

(مقدمة جاد بها يراعة فضيلة الشيخ سلمان الحسيني الندوي عميد كلية الدعوة والإعلام ، دارالعلوم التابعة لندوة العلماء)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد

فإن سورة البروج من السور المكية ، التي تتحدث عن مرحلة صعبة مر بها الرسول – صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، حيث كان هو يتعرض لأشد البلاء، والإيذاء النفسي والبدني، وكان أصحابه – صلى الله عليه وسلم – ما بين مهجر ومشرد، ومعذب ومنكل به، حتى يلقى منهم من يلقى في الرمضاء، وفي لفح الحر ولهيب الشمس المحرقة على الرمال الحامية، ثم يضرب، ويوضع عليه الحجر الثقيل، ومنهم من يلقى بظهره على الحمم المشتعلة، فلا تنطفئ إلا بشحمه يذوب، ظلم وقهر وعدوان، ووحشية وقسوة وهمجية، يتظاهر بها شياطين الإنس الغلاظ الأجلاف، في عنجهية وكبرياء وغطرسة، وبمقابل ذلك

أمثلة رائعة من البطولة والفداء، والتضحية والاستماتة، والصبر والجلد ما يتحير منه أولوا القوة والبأس،

في هذه الأوضاع الشديدة القاسية، التي تتفطر لها القلوب، وتشيب لها الولدان، تنزل هذه السور والآيات تقص قصص الجلادين والمعذبين، التي فيها السلوان لأهل الإيمان، والعبرة لمن اعتبر، والعظة لمن تذكر، والوعيد لكل من تجبر وتكبر، ولولا سنة الله – تبارك وتعالى– التي جرى بها قلم القضاء القدر، بالابتلاء والتمحيص لعباده المرسلين، وأصحابه الميامين والتابعين لهم إلى يوم الدين، وسنة إمهال الطغاة المتجبرين، والظلمة والجائرين لكانوا في أول الحشر قصة الماضين، ولحقت عليهم في لمحة البصر عاقبة المكذبين، ولكن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، هكذا جرت سنة الأولين، ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولو لم يكن الأمر كذلك، فمن يستطيع أن يعصي من خلق السماء ذات البروج ، وعين اليوم الموعود، وأقام الشهود على كل مشهود، من يستطيع أن يتجبر ويطغى، وإن بطشه لشديد، وهو الذي يبدئ

ويعيد، وهو الفعال لما يريد، الذي أخذ الجنود فرعون وثمود، أخذ عزيز مقتدر شديد، فمنهم من أرسل عليه حاصبا، ومنهم من أنزل عليه الصيحة، ومنهم من أغرق،، فكم تركوا من جنات وعيون، وما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين،

هذه السورة العظيمة التي تقص قصة أصحاب الأخدود، الذين حفرت لهم الحفر واشتعلت بالنيران، ثم رموا فيها لأنهم آمنوا بالله العزيز الحميد، وهو مليك السماوات والأرض، والجبابرة والطغاة عبيد له، مكبلون بقدره، مقيدون بقضائه، لكنهم يتركون يفتنون المؤمنين والمؤمنات، يسرحون ويمرحون، ويسخرون من المؤمنين ويستهزأون، يحبسونهم ويعذبون، كأنهم هم الملوك، وبيدهم مقاليد الأمور، وإذا بهم حين يحين الحين، يأخذهم ملك الملوك بغتة فإذا هم مبلسون، ويمسهم العذاب الأليم، ويخلدون في الجحيم، وعندئذ يقولون لمالك: ليقض علينا ربك، فيقول : إنكم ماكثون،

وَلاَ تَحْسَبَنّ اللّهَ غَافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ إِنّمَا يُؤَخّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدّ

إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ وَأَنذِرِ النّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الّذِينَ ظَلَمُوَاْ رَبّنَآ أَخّرْنَآ إِلَىَ أَجَلٍ قَرِيبٍ نّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتّبِعِ الرّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوَاْ أَقْسَمْتُمْ مّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مّن زَوَالٍ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَكِنِ الّذِينَ ظَلَمُوَاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأمْثَالَ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ،،،

وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مّقَرّنِينَ فِي الأصْفَادِ ، سَرَابِيلُهُم مّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىَ وُجُوهَهُمْ النّارُ ، لِيَجْزِيَ اللّهُ كُلّ نَفْسٍ مّا كَسَبَتْ إِنّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ

هذه القصة يقصها الله – تعالى – على سيد رسله، وخاتم أنبيائه، لتبقى عبرة وعظة، ومزجرة وتنبيها، للطغاة الظالمين، و وعدا وبشرى، وذكرى للمؤمنين الصادقين، الصابرين، وهي تنطبق في يومنا على الجبابرة والطغاة الذين ملكوا رقاب الناس واستعبدوهم، وأذلوهم، وعذبوهم، وأشعلوا فيهم النيران، بالقنابل والصواريخ والمتفجرات، إنهم سيلقون نفس المصير،

جـزى الله خيـرا الأخ العزيـز الفاضـل الشـيخ مجيـب الرحمن الندوي – حفظه ربه من كل شر– إذ تناول هذه القصة وتدبرها، وتأملها، وتفكر فيها، وغاص في بحارها، وفاز بدررها، وأبرز معانيها، وعنونها بـ"الصراع بين أصحاب العقيدة والإيمان، وأهـل الكفـر والطغيـان"، أرجـو أن يتقبلهـا رب العـزة والجـلال، ويقبل عليها عباده الصالحون، ويعتبر بها المعتبرون، ويتعظ بها المتعظون، والله الموفق والمعين، والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على النبي وآله وصحبه أجمعين،

كتبه

سلمان الحسيني الندوي

ندوة العلماء – لكناؤ

غرة ذي الحجة 1435هـ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ

[مقدمة فضيلة الأستاذ د/ مصطفى الطحان حفظه الله رئيس الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية– دولة الكويت،]

البروج تلميح عن خلق الله العظيم ونظامه العجيب، وما الأرض إلا نقطة صغيرة في ذلك البحر العظيم المسمى الكون، وكل خلق الله عظيم، حتى أصغر مخلوق له مهمة وطريق حياة يسلكه بنظام قدره الله تقديراً، كل هذا الكون لا يستطيع أن يخرج من أمر الله طرفة عين، فما لهؤلاء المجرمين ينسون هذه الحقيقة الكبرى ثم يقاتلون ويقتلون المؤمنين بها.

في هذه القصة يستخرج الله لنا الدروس والحكم والعلم، فيذكر صفاته العلية الجلية وخلقه العظيم، وسنة الله أن يدافع أهل الحق عن حقهم حتى يقوم الناس بالقسط ويمسكوا يد الظالم فإن تركه فساد للأرض، ونصر الله ثابت لمن جاهد في سبيله.

وكما بين المؤلف حفظه الله أن النصر يأتي من مواقف متعددة ،كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ.إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ (الصافات 171–172).

ومع أن نصر الله حاصل لا محاله فإنه ينبغي للدعاة أن لا يستعجلوا حصوله، بل يراعوا تدرجه واستخدام وسائل الدعوة كلها والصبر عليها وتجنب الدخول إلى المواجهة المبكرة التي يراد منها القضاء على الدعوة وأهلها قدر الإمكان، وتعالج سوء فهم الجهلاء بالتعليم والحلم والتدريب المتواصل كعمل المدرس المجتهد لطلابه.

والحمد لله فإن الأمة تزخر بالشباب والعلماء الأفاضل الذين يحسنون الدعوة ويعملون لدين الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومثل هذا الكتاب يرسم الطريق لهم والله يصطنعهم، فالشباب يرون أنفسهم أنهم الطريق نحو المجد وهذا الطريق يحتاج إلى تحديد اتجاه وتجهيز، فالإتجاه هو عبادة الله وحده ، قال الله تعالى (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ)

سورة البقرة آية 131. وهذه العبادة انطلقت من الإيمان الذي له حلاوة تفوق كل شهوة محبوبة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهنَّ حلاوةَ الإيمانِ . من كان اللهُ ورسولُه أحبَّ إليه ممَّا سواهُما . وأنْ يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلَّا للهِ ، وأنْ يكرهَ أنْ يعودَ في الكفرِ بعد أنْ أنقذَه اللهُ منه ، كما يكرهُ أنْ يُقذَفَ في النَّارِ) رواه مسلم. فأصحاب الرسالة هدفهم هو نصر دين الله حتى لو انتهى ذلك بالقضاء عليهم، فهم انتصروا بتبليغ دعوتهم و بالثبات على الحق و طاعة ربهم حتى النهاية، قال تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) سورة الأنعام آية 162. وفازوا بالجنة دار الخلد و الكرامة و تخلوا عن كل مطمع دنيوي من مال أو جاه أو غيرها من الشهوات التي حرص عليها العابثون، الذين انتهى بهم الضلال إلى الشقاء و العذاب الأبدي، قال الله تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ) سورة البروج آية 10. أنها قوة و شجاعة في القلب لا

ينالها إلا أصحاب الإيمان الراسخ، فخلد الله ذكرهم و جعلهم قدوة حسنة للناس جميعا.

كتبه

د/ مصطفى الطحان

رئيس الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية

كلمة المؤلف

الحمد لله حمد المؤمنين الصادقين، حمد العاملين المجاهدين، حمد التائبين العابدين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين، أما بعد

فإن الله جل وعلا خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا، وأرسل رسله وأنزل كتبه لهداية البشرية جمعاء، وبين الرشد من الغي والحق من الباطل، أوضح معالم الهداية والنور، فمن آمن بالله وكفر بالطاغوت فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن استحب العمى على الهدى واتبع هواه فأمه هاوية،، وقد خسر الدنيا والآخرة، وباء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير،

وإن الإيمان بالله ورسوله والدعوة إليه ليس كلمة تقال،، أو أمنية فحسب، بل الإيمان بالله إنما هو ثورة على الطاغوت، وثورة على النفس والشيطان وأوليائه، ونعي للباطل، في كل

عصر ومصر، ومن ثم يحتدم الصراع بين المؤمنين الذين يعتزون بايمانهم، وبين الكافرين المستكبرين الذين يغترون بقوتهم وشوكتهم ، والله يقول : " وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ" ومن هناك يحتاج الإيمان إلى صبر وإستقامة وعزيمة وقوة وصرامة، ودفاع قوي عن العقيدة، وصمود، وتضحية وفداء، وليعلم المؤمنون أن النصر حليفهم، وسبقت كلمة ربهم أنهم لهم المنصورون، قال تعالى: " ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا، وكان حقا علينا نصر المؤمنين"

وقد جرت سنة الله في كونه أنه يبتلي عباده، ويميز الخبيث من الطيب، ويمحص الحق من الباطل، كما جرت سنته أنه يمهل الكفار والمجرمين والعتاة المستكبرين في أرضه، ويذرهم في طغيانهم يعمهون، فتراهم يصولون ويجولون، يستكبرون ويقهرون، وإذا بهم يأتيهم أمر الله بغتة بياتا أو هم قائلون، فيطوى بساطهم، ويصبحون أثرا بعد عين، ويبقون عبرة للمعتبرين، وإن أخذ ربك أليم شديد،

فلا ينبغي أن يغتر المستكبرون بقوتهم وشوكتهم وملأهم وأعوانهم، وكل ما لديهم من وسائل الظلم والتدمير والفتك والبطش، والله يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، ويملي لهم إن كيده متين،

هذا، وكنت ألقى محاضرات في التفسير الموضوعي في كلية الشريعة وأصول الدين بجامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، ومن ضمن المحاضرات كانت هذه الخواطر حول سورة البروج، وفقني الله لأن أرتبها وأكتبها، فأشكر الله وأحمده أنه وفقني لذلك، وسميت هذه الخواطر بـ" الصراع بين أصحاب العقيدة والإيمان وأهل الكفر والطغيان في ضوء سورة البروج"

وأقدم خالص الشكر والتقدير وأسمى آيات الإحترام والتبجيل إلى فضيلة الشيخ الأستاذ الكريم سلمان الحسيني الندوي الذي شجعني وحفزني للأعمال العلمية، وأتحفني بكلمات قيمة لمقدمة الكتاب، وأسأل الله المولى أن يبارك في

عمره وينفع به العباد والبلاد، كما أشكر الأستاذ الدكتور مصطفى الطحان حفظه الله الذي كتب مقدمة طيبة للكتاب، فالله أسأل أن يحفظه ويبارك فيه، وجزى الله خيرا الشيخين الجليلين الفاضلين على هذا التشجيع والعطف،

وأخير أسأل الله أن يتقبل مني هذا الجهد المتواضع ويوفقني للمزيد من الأعمال العلمية وخدمة دينه وكتابه، وهو ولي التوفيق، وله الحمد أولا وآخرا،، وصلى الله على النبي الأمي.

مجيب الرحمن عتيق الندوي

جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

19/ ذي الحجة 1435هـ

المدخل إلى الموضوع

إن هذه السورة القصيرة معجزة من المعجزات الربانية، تحكي لنا قصة صدق عن الصراع الذي يدور بين أصحاب السلطة وعبدة الطاغوت الجبارين الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ويريدون فيها علوا وفسادا، وبين عباد الله المستضعفين أصحاب الإيمان والعقيدة، العقيدة التي تسمو بهم إلى علياء السماء فينظرون إلى الحياة الفانية الداثرة ويضعون لها الميزان القسط، ويضحون بها وبكل ما عندهم من نفيس وغال لأجل عقيدتهم، تتحدث السورة عن المعركة الحاسمة بين عباد الرحمن المظلومين المستضعفين المتوكلين على ربهم وبين أولياء الشيطان المغرورين بقوتهم وشوكتهم، وهذه المعركة تبدأ بغطرسة الجبارين المتكبرين وعلوهم وفسادهم وظلمهم وفتكهم، ثم ما تلبث إلا أن تنتهي بالنصر المؤزر والفتح المبين لعباد الله الذين لم يكن لديهم إلا الإيمان الشموخ والعقيدة

القوية، فهم يبذلون كل ما عندهم لأجلها ويقاتلون في سبيلها ويتفانون ويستميتون فيها، لا يتنازلون عنها ولو صب عليهم من العذاب والنكال ما يزلزل الصم الصلاب، لا يخافون ولا يهنون ولايستكينون ولا يتزعزعون رغم الفتن الطاغية والآلام والمصائب الفتاكة، فهم يصمدون عليها صابرين محتسبين، يثبتون أمامها مبتسمين حتى تنتصر عقيدتهم السامية وإيمانهم الشموخ، فتعود هذه الطائفة المظلومة المضطهدة المكلومة مرفوعة الرأس مسموعة الكلمة تملى إرادتها على العالم، وتكون كلمة الله هي العليا، هذه هي قصة حاضرها، وغابرها، قصة صراع يمحص الحق من الباطل ويميز بين الصادقين وبين الكاذبين، والحكمة من ذلك ما ذكر الله عزوجل: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) فالصراع في الحياة لانتصار الخير على الشر والنور على الظلمة والسعادة على الشقاوة هو الحياة، لينتشر الخير

وينكمش الشر، وتحيي القيم ومكارم الأخلاق وتموت الرذائل وسفاسف الأخلاق، وكما أن قتل الحشرات السامة والحيات والعقارب والسباع الضارية حياة للإنسان، يقول الشاعر الإسلامي المفكر دكتور محمد اقبال:

"إن الحياة التي خلت عن الصراع والثورة هي موت وفناء، لأن حياة الأمم وبقائهم بالصراع والثورة والدم الثائر المتدفق في عروقها"

وقال ابن الجوزي في تفسير سورة البقرة: "وفي معنى الكلام قولان. أحدهما: أن معناه: لولا أن الله يدفع بمن أطاعه عمن عصاه، كما دفع عن المتخلفين عن طالوت بمن أطاعه، لهلك العصاة بسرعة العقوبة، قاله مجاهد. والثاني: أن معناه، لولا دفع الله المشركين بالمسلمين، لغلب المشركون على

الارض، فقتلوا المسلمين، وخربوا المساجد قاله مقاتل: ومعنى: لفسدت الارض: لهلك أهلها"([1])

وقال السيد قطب الشهيد رحمه الله:"ووراء هذا كله تلك القاعدة العامة . . حاجة العقيدة إلى الدفع عنها: (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا). .

والصوامع أماكن العبادة المنعزلة للرهبان ، والبيع للنصارى عامة وهي أوسع من الصوامع ، والصلوات أماكن العبادة لليهود . والمساجد أماكن العبادة للمسلمين . وهي كلها معرضة للهدم – على قداستها وتخصيصها لعبادة الله – لا يشفع لها في نظر الباطل أن اسم الله يذكر فيها ، ولا يحميها إلا دفع الله الناس بعضهم ببعض . أي دفع حماة العقيدة لأعدائها الذين ينتهكون حرمتها ، ويعتدون على أهلها . فالباطل

(1) زاد المسير من علم التفسير (**217/1**)

متبجح لا يكف ولا يقف عن العدوان إلا أن يدفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول . ولا يكفي الحق أنه الحق ليقف عدوان الباطل عليه ، بل لا بد من القوة تحميه وتدفع عنه . وهي قاعدة كلية لا تتبدل ما دام الإنسان هو الإنسان !..... (إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور).فقد ضمن للمؤمنين إذن أنه هو تعالى يدافع عنهم . ومن يدافع الله عنه فهو ممنوع حتما من عدوه ، ظاهر حتما على عدوه . . ففيم إذن يأذن لهم بالقتال ؟ وفيم إذن يكتب عليهم الجهاد ؟ وفيم إذن يقاتلون فيصيبهم القتل والجرح ، والجهد والمشقة ، والتضحية والآلام؟ والعاقبة معروفة، والله قادر على تحقيق العاقبة لهم بلا جهد ولا مشقة ، ولا تضحية ولا ألم ،ولا قتل ولا قتال؟ والجواب أن حكمة الله في هذا هي العليا ، وأن لله الحجة البالغة . . والذي ندركه نحن البشر من تلك الحكمة ويظهر لعقولنا ومداركنا من تجاربنا ومعارفنا أن الله سبحانه لم يرد أن يكون حملة دعوته وحماتها من "التنابلة " الكسالى ، الذين يجلسون في استرخاء ، ثم يتنزل عليهم نصره سهلا هينا

بلا عناء ، لمجرد أنهم يقيمون الصلاة ويرتلون القرآن ويتوجهون إلى الله بالدعاء ، كلما مسهم الأذى ووقع عليهم الاعتداء ! نعم! إنهم عليهم يجب أن يقيموا الصلاة ، وأن يرتلوا القرآن ، وأن يتوجهوا إلى الله بالدعاء في السراء والضراء . ولكن هذه العبادة وحدها لا تؤهلهم لحمل دعوة الله وحمايتها ; إنما هي الزاد الذي يتزودونه للمعركة . والذخيرة التي يدخرونها للموقعة ، والسلاح الذي يطمئنون إليه وهم يواجهون الباطل بمثل سلاحه ويزيدون عنه سلاح التقوى والإيمان والاتصال بالله "([1])

ولا قيمة عند الله للقوات الهائلة والأموال الوفيرة والأسلحة الفتاكة المدمرة والجنود المدججة، فهي لا تزن عند الله جناح بعوضة، فمن كوة هذه العقيدة القوية ينظر العبد المؤمن إلى الدنيا كلها، فيرى الملوك الجبابرة الطغاة وجنودهم كأنهم دمى كسيت الأقمشة الفاخرة وعلقت بها الاسلحة، ومن هنالك يستهين بقوتهم وكبريائهم ويستخف بعقولهم ونظرهم، والتاريخ الإسلامي زاخر بروائع وبطولات في هذا الموضوع،

(1) في ظلال القرآن: 26/10

وقال السيد قطب الشهيد:

"هذه السورة القصيرة تعرض ، حقائق العقيدة ، وقواعد التصور الإيماني . . أمورا عظيمة وتشع حولها أضواء قوية بعيدة المدى ، وراء المعاني والحقائق المباشرة التي تعبر عنها نصوصها حتى لتكاد كل آية – وأحيانا كل كلمة في الآية – أن تفتح كوة على عالم مترامي الأطراف من الحقيقة . والموضوع المباشر الذي تتحدث عنه السورة هو حادث أصحاب الأخدود . . والموضوع هو أن فئة من المؤمنين السابقين على الإسلام – قيل إنهم من النصارى الموحدين – ابتلوا بأعداء لهم طغاة قساة شريرين ، وأرادوهم على ترك عقيدتهم والارتداد عن دينهم ، فأبوا وتمنعوا بعقيدتهم. فشق الطغاة لهم شقا في الأرض،وأوقدوا فيه النار، وكبوا فيه جماعة المؤمنين فماتوا حرقا، على مرأى من الجموع التي حشدها المتسلطون لتشهد مصرع الفئة المؤمنة بهذه الطريقة البشعة، ولكي يتلهى الطغاة

بمشهد الحريق . حريق الآدميين المؤمنين:(وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)([1])

فإنّ أصحاب الأخدود في حقيقة الأمر لم يذكروا إلا كمثال للطغيان البشري الأرعن ولم ينوه بذكرهم إلا كأنموذج عابر لحالة الاستبداد الذي يمارسه الكثيرون من العتاة والجبابرة على مرّ الدهور والعصور، وإلا فإنّ أصحاب الأخاديد المشابهة وسدنة الظلم والجبروت كثيرون ، متواجدون في كلّ زمان، وهؤلاء جميعهم حسبهم ذلك اليوم الموعود حيث توضع الموازين القسط فلا تظلم نفس شيئا، وهؤلاء جميعهم حسبهم الحكم العدل سبحانه حيث يقتص من كل ظالم وينتقم من كل جبار عنيد ، فإن القرآن ذكر القصة كأنموذج لكل الحالات المشابهة لأخذ العبرة والعظة ، وتسلية المبتلين بهذه القصة ، وتوعد المجرمين ، بذات الوعيد ، وبقدر الجريمة !

---

(1) في ظلال القرآن

فالمقام ليس مقام سرد أو استيعاب لكل حوادث التاريخ – وما أكثرها – ممّا قد يفوق جريمة هؤلاء بمراحل وإنما هو مقام تذكير ووعظ بما يؤدي الغرض وكفى !

وفي العصر الحديث كثر أصحاب الأخاديد بحيث تنكسر الأقلام وتفنى مئات الصحف قبل أن تستوعب بعض جرائمهم،فجرائم الصليبيين في قيادة أمريكا امبراطورية الشر ومن على شاكلتها فاقت كل تصور ، وتجاوزت كل حد، لقد صبت هذه الدولة المجرمة جام نيرانها ودكت بطائراتها العملاقة وأسلحتها الشيطانية وقنابلها التي تبلغ زنة بعضها قرابة العشرة من الأطنان أرض أفغانستان المسلمة، وغزت بجحافلها أرض العراق بعد أن أفرغت فوق حاضرته وباديته مئات الألوف من القنابل الفتاكة التي لا تعرف التمييز بين الكبير والصغير والذكر والأنثى؛ بل دكت المستشفيات على رؤوس المرضى ولوثت المياه وقطعت خطوط الكهرباء والهاتف وأشاعت الرعب والهلع وسمحت بالنهب والسرقة وانتهاك كل مُحرّم وممنوع !

وكان قبل عقود من السنين مثلها الدبُّ الروسي المتوحش ، والذي ظل برهة من الزمان يمارس أبشع العدوان والبغي فوق أرض أفغانستان، وخلف ورائه ملايين القتلى وأضعافهم من الجرحى والمعوقين، وحسب القارئ أن يعلم أن ما ألقته روسيا على أرض الشيشان من القنابل والنيران يفوق عشر مرات ما ألقاه الحلفاء على ألمانيا النازية إبان الحرب العالمية!! وما يفعله اليهود فوق أرض فلسطين برعاية الأمم الصليبية الكافرة الشيطانية وبرئاسة أمريكا وحلفاءها غير خاف على كل متابع لمسلسل البغي والظلم المتتابع الحلقات منذ ما يقرب من ستين عاماً !

فأي مقارنة إذاً بين تلك الحادثة الصغيرة التي تولى كبرها أصحاب الأخدود وبين هذا العدوان الشامل والحروب الشعواء التي لا يعرف لها نظير عبر التاريخ !؟

ما ورد في فضائل السورة:

وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت "والسماء ذات البروج" بمكة، وأخرج أحمد قال: حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبي سلمى حدثنا أبو المهزم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق، وأخرج الطيالسي وابن أبي شيبة في المصنف وأحمد والدارمي وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والطبراني والبيهقي في سننه عن جابر بن سمرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق والسماء ذات البروج([1])

(1) راجع فتح القدير للشوكاني، وأخرجه الترمذي: كتاب الصلاة، باب: ما جاء في القراءة في الظهر والعصر (307) ، والنسائي: كتاب الافتتاح، باب: القراءة في الركعتين الأوليين من صلاة العصر (2 / 166)

وقال في "شرح أبي داؤد للعيني : عن جابر بن سمرة: " أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهرِ، والعصر (السمَاءِ وَالطارِقِ) (والسماء ذاتَ البُرُوج) ونحوهما من السورِ": ش– (والسماء والطارق) مكية ، وهي سبع عشرة آية وإحدى وستون كلمة، ومائتان وتسع وثلاثون حرفا، (والسماء ذات البروج) مكية، وهي اثنتان وعشرون آية، ومائة وتسع كلمات، وأربعمائة وثمان وخمسون حرفا، وبهذا الحديث قال صاحب " المبسوط ": يقرأ في الظهر دون ما يقرأ في الفجر، وكان ذكر في الفجر خمسين آية، وفي رواية ستين، وفي رواية أربعين آية وما دون ذلك قدر سورة البروج. والحديث أخرجه: الترمذي، وفي روايته: " كان يقرأ في الظهر والعصر ب (السمَاء ذات البُرُوج) ، (والسمَاء وَالطارِقِ) وشبههما " قدم "البروج " عَلى " الطارق "– كما ترى– وفيَ رواية أبي داود على العكس، ولا يفهم من رواية أبي داود أنه كان يقرأ في الركعة الأولى (الطارق) ، وفي الثانية: (البروج) لأن الواو لا يدل على الترتيب، بل كان

يقرأ أولا " البروج " ، وثانيا " الطارق " ، لأن " البروج " أطول من الطارق"([1])

وأخرج سعيد بن منصور عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لمعاذ : اقرأ بهم في العشاء بـ" سبح اسم ربك الأعلى، (سورة الأعلى الآية) والليل إذا يغشى، (سورة الليل الآية) والسماء ذات البروج ([2])

وأما ما ذكر أبو إسحاق الثعلبي في الكشف والبيان : " عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أُبي بن كعب قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من قرأ) والسماء ذات البروج (أعطاه الله عز وجل من الأجر بعدد كل يوم جمعة وكلّ يوم عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات ([3]) فهو موضوع .

---

1 شرح أبي داؤد للعيني 467/3

(2) الدر المنثور (641/8)

(3)الكشف والبيان / أبواسحاق الثعلبي (164/10) وقال في الفتح السماوي: قَوْله : من قَرَأَ سُورَة البروج، إِلَخ .

مَوْضُوع (1091/3)

وقال "محمد بن رزق بن طرهوني" في الأحاديث الثابتة في فضائل سور وآيات القرآن" وهو يذكر فضائل سورة البروج والطارق:لم يصحَّ شيء فيهما سوى كونهما من المفصلِ المذكورِ فضلُه في بدايةِ سورةِ (ق)([1])

ثم قال بمناسبة ذكر الفضائل لسورة ق:"عن واثلةَ بنِ الأسقع قال:قالَ رسولُ الله (:" أُعطيتُ مكانَ التوراةِ السبعَ الطِّوالَ ... وفضِّلتُ بالمفصَّلِ "([2])

المرحلة الزمنية للسورة:

اتفقت كلمة المؤرخين على أن هذه السورة نزلت في مكة المكرمة،نزلت في أوضاع عنيفة وعصر المحن والشدائد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وحياة المعاناة لثلة كريمة

([1]) الأحاديث الثابتة في فضائل سور وآيات القرآن" 41/1

(2) نفس المصدر 37/1 ، الملحوظة: والمفصل من الحجرات إلى اخر القران وطواله من الحجرات إلى اخر سورة البروج، ووسطه إلى اخر سورة لم يكن، وقصاره إلى اخر القرآن " تحفة الأحوذي (184/2)

من أصحابه، قال الآلوسي: " لا خلاف في مكيتها ولا في كونها اثنتين وعشرين آية ووجه مناسبتها لما قبلها باشتمالها كالتي قبل على وعد المؤمنين ووعيد الكافرين مع التنويه بشأن القرآن وفخامة قدره، وفي البحر أنه سبحانه لما ذكر أنه جل وعلا أعلم بما يجمعون لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين من المكر والخداع وإيذاء من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب والقتل والصلب والحرق بالشمس وإحماء الصخر ووضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه ذكر سبحانه أن هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الأمم فكانوا يعذبون بالنار، وإن المعذبين كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم، وإن الذين عذبوهم ملعونون، فكذلك الذين عذبوا المؤمنين من كفار قريش، فهذه السورة عظة لقريش وتثبيت لمن يعذبونه من المؤمنين" ([1])

ومعنى ذلك أنها نزلت تهديدا لإخوة أصحاب الأخدود من كفار قريش وتسلية لحياة المؤمنين المكلومة المجروحة التي

---

(1) روح المعاني: 15 /794

تعاني من شدائد ومصائب جبارة وتضحيات كبيرة في سبيل عقيدتهم وإيمانهم،

المناسبات في السورة:

أما المناسبة بينها وبين السورة التي قبلها وهي الإنشقاق فهو واضح لفظا ومعنى، كان فيها ذكر السماء وانشقاقه والأرض ومدها، مما يدل على قدرة الباري جل وعلا، وهذه السورة تبدأ بذكر السماء ذات الأبراج والكواكب ومدراتها الضخمة مما توحي بعظمة الخالق وكبرياءه، وورد في سورة الإنشقاق ذكر الحساب والعرض، وجاء في البروج ذكر اليوم الموعود، وشاهد ومشهود، وهو يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، وجاء في الإنشقاق ذكر أصحاب الميمنة وكونهم مسرورين فرحين بما قدموا من الأعمال، وأصحاب الشمال الذين سوف يدعون الثبور والويل لأنفسهم، ويصلون سعيرا، وذكر في سورة البروج أن المؤمنين الذين عملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، وأن المتكبرين المجرمين الذين فتنوا المؤمنين لهم عذاب الحريق، وختمت سورة الإنشقاق بقوله: (بل الذين

كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون، فبشرهم بعذاب أليم) وختمت سورة البروج بقوله: (بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ * وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِمْ مُحِيطٌ) قال البقاعي:

"لما ختم تلك بثواب المؤمن وعقاب الكافر والاستهزاء به بعد أن ذكر أنه سبحانه أعلم بما يضمر الأعداء من المكر وما يرومون من الأنكار للأولياء وتوعدهم بما لا يطيقون، وكانوا قد عذبوا المؤمنين بأنواع العذاب واجتهدوا في فتنة من قدروا عليه منهم، وبالغوا في التضييق عليهم حتى ألجؤوهم إلى شعب أبي طالب وغيرها من الشعب في البلاد، ومفارقة الأهل والأولاد، ابتدأ هذه بما أوقع بأهل الجبروت ممن تقدمهم على وجه معلم أن ذلك الإيقاع منه سبحانه قطعاً، ومعلم أن الماضين تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف في النار، وأن أهل الإيمان ثبتوا، وذلك لتسلية المؤمنين وتثبيتهم ، وتوعيد الكافرين وتوهيتهم وتفتيتهم"([1])

([1]) نظم الدرر: 375/8

وأما المناسبة بينها وبين التي بعدها (والسماء والطارق) فهو أيضا واضح، حيث بدأت السورة بذكر السماء والنجم ، تتفق بدايتها مع بداية البروج لفظا، وجاء في سورة الطارق قوله:إن كل نفس لما عليها حافظ" وهو معنى قوله في سورة البروج : وشاهد ومشهود، بينت سورة البروج أنه قتل أصحاب الأخدود، الذين تكبروا في الأرض بغير الحق، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، حتى قال بعضهم: "ما لكم من إله غيري" فجعلوا أنفسهم أربابا من دون الله، وذكرت سورة الطارق حقيقة خلق الإنسان، "فلينظر الإنسان مم خلق، خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب" وفيه وجه آخر للإنسجام الموضوعي، وهو أن البروج جاء فيها قوله:"إنه هو يبدئ ويعيد" إشارة إلى بدأ الخلق وإعادته،وفي الطارق شيئ من التفصيل أنه كيف خلق الإنسان من ماء دافق مهين، وهو قادر على بعثه وإعادته كما بدأ، وهو قوله: " إنه على رجعه لقادر" ، ذكر في البروج "اليوم الموعود" بينما جاء في الطارق قوله سبحانه: يوم تبلى السرائر، فما له من قوة ولا ناصر"، وجاء في الطارق قوله:

"إنه لقول فصل وما هو بالهزل" وبينت البروج : "بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ" فهو القول الفصل المحفوظ المصون الذي ليس بالهزل، وذكر في سورة البروج حديث الجنود، فرعون وثمود، الذين كذبوا الرسل والآيات والمعجزات بطغواهم، وانتهكوا حرمات الله وتعدوا حدوده، ودندنوا حول المعاصي والإنكار للرسل، وأذاقوا المؤمنين صنوف العذاب، ولكنهم في النهاية مع كيدهم ومكرهم أخذوا من المنتقم الجبار، وجاءهم بأس الله بغتة ومن حيث لا يشعرون، وهو قوله في سورة الطارق:" إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا، فمهل الكافرين أمهلهم رويدا"

وأما المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، فقال السيوطي في مراصد المطالع: "بدئت بذكر الساء ذات البروج وختمت بـ" لوح محفوظ" وكلاهما من عالم الملكوت، وفي أول السورة "اليوم الموعود" وفي آخرها "والله من ورائهم محيط" ([1])

([1]) مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع للسيوطي (80)

وقال الإمام الفخر الرازي: "اعلم أن المقصود من هذه السورة تسلية النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه عن إيذاء الكفار وكيفية تلك التسلية هي أنه تعالى بين أن سائر الأمم السالفة كانوا كذلك مثل أصحاب الأخدود ومثل فرعون ومثل ثمود، وختم ذلك بأن بين أن كل الكفار كانوا في التكذيب،ثم عقب هذا الوجه بوجه آخر وهو قوله وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِمْ مُّحِيطٌ ، ذكر وجهاً ثالثاً وهو أن هذا شيء مثبت في اللوح المحفوظ ممتنع التغيير وهو قوله بَلْ هُوَ قُرْءانٌ مَّجِيدٌ فهذا ترتيب السورة"([1])

سبب النزول للسورة:

لقد ذكر المفسرون هنا قصتين : قصة أصحاب الأخدود، واختلفوا في تعيينهم، وقصة الغلام والساحر التي ذكرت في الصحاح، قال ابن كثير:

"وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم فعن علي أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج

([1]) مفاتيح الغيب 104/30

المحارم فامتنع عليهم علماؤهم فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم وعنه أنهم كانوا قوما باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخدوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها ، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة وأحدهم حبشي،

وقال العوفي عن بن عباس (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود) قال ناس من بني إسرائيل خدوا أخدودا في الأرض ثم أوقدوا فيه نارا ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك"([1])

والحقيقة أن هذه القصص الجزئية التي تجشم لبيانها المفسرون ليست لها علاقة بسبب النزول، بل الحق أن معاني السورة تصدق على تلك المعاني والقصص كلها ومثلها أخرى، السبب الحقيقي لنزول السورة هو وجود ذلك الجو الخانق

---

(1) ابن كثير 822/5

الذي يتوافق مع جو أصحاب الأخدود،ووجود المحاولات الجبارة لزعزعة العقيدة الإسلامية وردع المسلمين عن عقيدتهم ودينهم ممن كانوا على شاكلة أصحاب الأخدود في التعذيب والنكال بالمؤمنين،نزلت السورة تثبيتا لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وتسلية لأصحابه الذين كانوا يواجهون لأقسى الظروف والمحن ، وبلسما لجروحهم وقروحهم، وهذا هو الموقف الذي إختاره الإمام ولي الله الدهلوي في بيان أسباب النزول في كتابه " الفوز الكبير"

إسم السورة:

وإن أسماء كل السور تكون توقيفية، قال السيوطي: "وقد ثبت أن جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار" ([1])

سميت هذه السورة "بالبروج" لإبتدائها بقسمه سبحانه " والسماء ذات البروج"، وهي منازل الكواكب السيارة في أثناء سيرها، وكأن إسم السورة يلمح إلى عظمة العقيدة الإيمانية التي

([1]) الإتقان 186/1

تتعالى بأهلها على فتن الطغاة المتجبرين الظالمين، وتسمو بهم حتى ينتصروا على شدائد الحياة، بل على الحياة نفسها، وترتفع بهم إلى أوج السماء الذي يشرف الإنسان من أبراجه إلى الدنيا كلها فيستهين بكل ما فيها، وتهون عنده التضحية بكل شيء في سبيل العقيدة والإيمان، فإسمها يتفق مع بدايتها ورسالتها.

الإيضاح اللفظي:

البروج: منازل الكواكب ومداراتها، قال الراغب: البروج: القصور، الواحد: برج، وبه سمي بروج السماء لمنازلها المختصة بها، قال تعالى: {والسماء ذات البروج} وقال تعالى: {تبارك الذي جعل في السماء بروجا}، وقوله تعالى: {ولو كنتم في بروج مشيدة} يصح أن يراد بها بروج في الأرض، وأن يراد بها بروج النجم"([1]) وقال أبوحيان: قال ابن عباس والجمهور: هي المنازل التي عرفتها العرب ، ... وقال عكرمة والحسن ومجاهد : هي القصور. وقال الحسن ومجاهد أيضاً : هي النجوم. وقيل :

([1]) مفردات القرآن مادة : برج

عظام الكواكب ، سميت بروجاً لظهورها. وقيل : هي أبواب السماء([1])

قتل: لعن أشد اللعن، كما في قوله تعالى: قتل الإنسان ما أكفره،

الأخدود: الشق العظيم المستطيل في الأرض، وجمعه: أخاديد،قال البخاري عن مجاهد:الشق في الأرض وقال الراغب: والأخدود: شق في الأرض مستطيل غائص، وجمع الأخدود أخاديد، وأصل ذلك من خدي الإنسان، وهما: ما اكتنفا الأنف عن اليمين والشمال. والخد يستعار للأرض، ولغيرها كاستعارة الوجه ([2])

اليوم الموعود: يوم القيامة باتفاق المفسرين أو اليوم الذي يخرج الناس فيه من أجداثهم سراعا، أو يوم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، كما في روح المعاني

---

(1) البحر المحيط 448/8

(2) مفردات القرآن مادة : خد

وشاهد ومشهود: الشاهد هو الله والمشهود يوم القيامة،وقيل: الشاهد هم الأنبياء والمشهود عليهم هم الأمم، مأخوذ من قوله تعالى: (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) وفيه أقوال كثيرة، قال الآلوسي: وشاهد ومشهود أي ومن يشهد بذلك اليوم ويحضره من الخلائق المبعوثين فيه وما يحضر فيه من الأهوال والعجائب فيكون الله عز و جل قد أقسم سبحانه بيوم القيامة وما فيه تعظيما لذلك اليوم وإرهابا لمنكريه"([1])

وقيل : الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة، وقيل: هما الجوارح وأصحابها

نقموا : أي عابوا وكرهوا، قال الراغب: نقمت الشيء ونقمته: إذا أنكرته، إما باللسان؛ وإما بالعقوبة. قال تعالى: {وما نقموا منهم إلا أن أغناهم الله} [التوبة/74] {وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا

---

(1) روح المعاني للآلوسي 86/30

بالله} [البروج/8]، {هل تنقمون منا} الآية [المائدة/59]. والنقمة: العقوبة([1])

الحميد: المحمود في جميع الأحوال،

فتنوا: الفتنة الإبتلاء والإمتحان، أي أحرقوهم بالنار ليفتنوهم عن دينهم،قال الراغب: أصل الفتن: إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار. قال تعالى: {يوم هم على النار يفتنون} [الذاريات/ 13]، {ذوقوا فتنتكم} [الذاريات/14]، أي: عذابكم، وذلك نحو قوله: {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب} [النساء/56]، وقوله: {النار يعرضون عليها... } الآية [غافر/46]، وتارة يسمون ما يحصل عنه العذاب فيستعمل فيه. نحو قوله: {ألا في الفتنة سقطوا} [التوبة/49]، وتارة في الاختبار نحو: {وفتناك فتونا} [طه/40]، وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر

(1) مفردات القرآن مادة : نقم

استعمالا، وقد قال فيهما: {ونبلوكم بالشر والخير فتنة} [الأنبياء/ 35] ([1])

بطش: الأخذ بشدة، ومنه قوله: (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) قال الآلوسي: والبطش الأخذ بصولة وعنف،وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم،وهو بطشه عزوجل بالجبابرة والظلمة وأخذه سبحانه إياهم بالعذاب والأنتقام"([2])

يبدئ ويعيد: يخلق ابتداء بقدرته ثم يحييه بعد الموت، قال الخازن: إنه هو يبدىء ويعيد (أي يخلقهم أولاً في الدنيا ، ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم بأعمالهم في القيامة)([3])

الودود: اللطيف المتودد إلى أولياءه،وقال البخاري في التفسير في الجامع الصحيح: "الحبيب المجيد" وقال الخازن: "أي المحب لهم ، وقيل المحبوب أي يوده أولياؤه ويحبونه ، وقيل يغفر ويود أن يغفر ، وقيل هو المتودد إلى أوليائه بالمغفرة"([4])

---

(1) مفردات القرآن مادة : فتن

(2) روح المعاني للآلوسي 86/30

(3) تفسير الخازن 231/7

(4) تفسير الخازن 231/7

ذو العرش: أي خالقه ومالكه.

المجيد: العظيم الجليل المتعال، قال الخازن: المجيد (قرىء بالرفع على أنه صفة لله تعالى لأن المجد من صفات التعالي والجلال،وذلك لا يليق إلا بالله تعالى. وقرىء المجيد بالكسر على أنه صفة للعرش أي للسرير العظيم إذ لا يعلم صفة العرش وعظمته إلا الله تعالى وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل إن العرش أحسن الأجسام" ([1])

الجنود: الجموع الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء

لوح محفوظ: أي مصون من الزيادة النقصان والتحريف والتبديل، وقال الخازن: "لوح محفوظ: قرىء بالرفع على أنه نعت للقرآن ، "محفوظ" يعني: أن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف ، وقرىء محفوظ بالكسر على أنه نعت للوح لأنه يعرف باللوح المحفوظ وهو أم الكتاب ، ومنه تنسخ الكتب وسمي محفوظاً لأنه حفظ من الشياطين من الزيادة والنقص ، وهو عن يمين العرش ، وروى البغوي بإسناد الثعلبي

---

(1)تفسير الخازن 231/7

عن ابن عباس قال: إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله عزّ وجلّ وصدق بوعده واتبع رسله ، أدخله الجنة) وقال : واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه من نور ، وكلامه سر معقود بالعرش وأصله في حجر ملك والله تعالى أعلم بمراده" ([1])

(1) تفسير الخازن 232/7

الشرح الإجمالي للسورة

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ * وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلأخْدُودِ * ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ *

بدأت السورة بقسمه سبحانه وتعالى بالسماء ذات النجوم الهائلة وبروجها ومداراتها الضخمة التي تدور فيها تلك النجوم والأجرام الفلكية العظيمة،وقسمه سبحانه باليوم العظيم يوم القيامة الذي هو آت لا ريب فيه، وقسمه جل وعلا بالشاهد والمشهود أي الرسل الشاهدين من كل أمة، وأتباعهم المشهود عليهم الذين يشهدون ذلك اليوم الرهيب،نحن نتسأل لم أقسم الحق سبحانه بهذه الأشياء الثلاثة؟ على ماأقسم ؟ لقد أقسم سبحانه للتأكيد بأنه سيجزي العذاب الشديد بجرمهم، وعلى أنه سيأخذ بظلمهم، وبأن هؤلاء المجرمين وأمثالهم من ورائهم عذاب الحريق،وأن الذين عذبوا المؤمنين سيعذبون، وهذا تأكيد

منه سبحانه على هلاك وعذاب المجرمين المتجبرين الذين أخذتهم العزة بالإثم فأذاقوا عباد الله المستضعفين صنوف العذاب والشدائد حتى أحرقوهم بالنار ليفتنوهم عن دينهم،

وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ * ٱلَّذِى لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوٰتِ وَٱلأرْضِ وَٱللَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ

بين تعالى أن الطغاة الجبابرة المغرورين المتكبرين لا يستضعفون المؤمنين ولا ينتقمون منهم لذنب ارتكبوه، أو جريمة إقترفوها، سوى أنهم آمنوا بربهم العزيز الذي له ملك السماوات والأرض، الحميد في كل حال، المحمود بذاته ولو لم يحمده الجهال، فهذه جريمتهم الوحيدة التي لأجلها يسومونهم سوء العذاب،ثم قال تعالى انه هو شهيد على ما كان من أمر المؤمنين وأصحاب الأخدود،هذه لمسة تطمئن بها قلوب المؤمنين وتهدد العتاة المتجبرين،

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ *

وفي هذه الآيات الكريمة بين سبحانه قاعدة جزائه وعدله، للذين أساؤا السوء وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة، يتوعد سبحانه الكفار المجرمين على فعلتهم الشنيعة بعقابه الأليم وأخذه الشديد وعذاب الحريق الذي أخره للمجرمين تجاه ما فعلوا بعباده المؤمنين، فكما أحرقوهم بالنار ذات الوقود يحرقهم الله بنار الخلود، وكما تدين تدان، ومن زرع سوءا لا يحصد إلا سوء، وأما المؤمنون المستضعفون المضطهدون الذين مروا بالمحن والمعاناة، و ذاقوا مرارة الحياة وصبروا على الشدائد فلهم ما يشاءون عند ربهم،لأنهم أرادوا حرث الآخرة فزادهم الله في حرثهم، سيحصلون على نزل كريم من رب رحيم،

وجنات نعيم، يربحون في آخرتهم وإن خسروا في دنياهم، وذلك هو الفوز الكبير،

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ * ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ *

تتحدث هذه الآيات الكريمة عن بطشه الشديد الذي لا يرد عن القوم المجرمين، وعن قدرته على الانتقام من الظلمة الجبابرة، وعن قدرته على الخلق والإبتداء والبعث والإحياء، وأنه لا يغفل عن عباده، وإذا أراد شيئا فلا راد لقضاءه،وهو لكل ظالم بالمرصاد، وإن تأخر عذابه العاجل عن الظالمين فلحكمة يعلمها، فمصيرهم في اليوم المشهود الموعود جهنم، لا يجيرهم فيه مجير،

هَلۡ أَتَاكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ * فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكۡذِيبٍ * وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِمْ مُحِيطُۢ * بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٌ مَجِيدٌ * فِى لَوۡحٍ مَّحۡفُوظٍ.

وختمت السورة بذكر النموذج التطبيقي لبطش الله الجبار من الجنود، والطاغية فرعون الذي بطر بقوته وأعوانه، وأفسد هو وجنوده في الأرض أهلكه الله وجعله عبرة وآية لمن خلفه، وثمود الذين إغتروا بقوتهم فقالوا من أشد منا قوة، وكثير من كانوا على شاكلتهم، قصمهم الله، فانتصر الحق واندحر الباطل وزهق، وعصم الله كتابه وشريعته ونصر دينه وأهله، وتلك هي تكون دائما نهاية الصراع بين الحق والباطل، وتنتهي المعركة بانتصار عباد الله المؤمنين على الطغاة الجبارين، قال سبحانه: "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون، وإن جندنا لهم الغالبون"، وقال تعالى:"كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله لقوي عزيز"

شرح لمحاور السورة

القسم بالأفلاك والنجوم واليوم الموعود :

لقد أقسم سبحانه وتعالى في مطلع هذه السورة ثلاث قسمات: قسم بالسماء ذات النجوم الزاهرة، وقسم بيوم القيامة الذي يقوم الناس فيه لرب العالمين،و لا ينفع فيه مال ولا بنون، وقسم بالشاهد والمشهود، واختلفت اقوال العلماء في معنى القسم كما سنوضحه بعد.

ولكن لماذا أقسم سبحانه وتعالى وهو أحكم الحاكمين، ملك السموات والأرض ومن فيهن، وهو القاهر على عباده وهو الحكيم الخبير؟ لقد أقسم الله بمخلوقاته مع نهيه عن القسم بغيره، لا يعلم كنهه إلا الله،

حيث افتتح القرآن الكريم كثيرا من السور بالقسم، كما أورد أقساما في ثنايا عدد غير قليل منها، وأسلوب القسم في اللغة العربية من المؤكدات المشهورة، التي تؤكد الشئ في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة،ووقف الناس

منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك،ومنهم المنكر والجاحد، ومنهم الخصم الألد، فجاء القسم في كتاب الله عزوجل لإزالة الشكوك، وإحباط الشبهات وإقامة الحجة، وتوكيد الأخبار، لتطمئن نفس المخاطب إلى الخبر، لا سيما في الأمور العظيمة التي أقسم عليها .

قال الدكتور سامي عطا حسن في " أسلوب القسم في القرآن الكريم" :" أسلوب القسم في اللغة، طريق من طرق توكيد الكلام ، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذي يريده المتكلم ، إذ يؤتى به لدفع إنكار المنكرين ، أو إزالة شك الشاكين .والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشئ في النفس وتقويه ، ومعلوم أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وعلى أسلوب كلامهم ، ومناحي خطابهم ، وكان من عادتهم أنهم إذا قصدوا توكيد الأخبار وتقريرها ، جاءوا بالقسم ، وعلى هذا جاءت في القرآن الكريم أقسام متنوعة ، في مواضيع شتى ، لتوكيد ما يحتاج إلى التوكيد"[1]

---

(1) أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم ص 2

وجاءت الأقسام في القرآن الكريم لأهداف متعددة وأغراض مختلفة، ويمكن لنا أن نقول أنها وردت لتوكيد أسس الإيمان من تثبيت أساس التوحيد، وتقرير أمر النبوة،والإشادة بصدق الكتاب الحكيم ، وإثبات الحياة الأخرى، وما يتصل بها من حساب وغيره، و توضيح المهم من أحوال الإنسان وتصرفاته في هذه الحياة.

فالقسم بالسماء ذات البروج ليس لتشريف السماء وبروجها بل لتوكيد أصول الإيمان وصدق الموعود من البعث والنشور، ووقوع الحساب والجزاء، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، والمناسبة في هذه السورة بين المقسم به والمقسم عليه واضحة، لأن القادر على خلق السماء وبروجها العظام، والقادر على إعادة الإنسان بعد موته إلى سيرته الأولى، والذي يأتي بالشاهد والمشهود وعنده كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها هو قادر على الإنتقام من الجبابرة الطغاة المجرمين، ورد كيدهم ومكرهم، وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال

أقسم سبحانه وتعالى ثلاث قسمات هنا،

قسم بالسماء ذات الأبراج العالية والنجوم والكواكب الهائلة ومداراتها الضخمة التي تدل على عظمة خالقها وبارئها، وحسن تدبيرها، وإحكام نظامها، قال السيد قطب الشهيد: تبدأ السورة قبل الإشارة إلى حادث الأخدود بهذا القسم : بالسماء ذات البروج ، وهي إما أن تكون أجرام النجوم الهائلة وكأنها بروج السماء الضخمة أي قصورها المبنية ، كما قال : { والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون } وكما قال : { أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها } وإما أن تكون هي المنازل التي تنتقل فيها تلك الأجرام في أثناء دورانها ، وهي مجالاتها التي لا تتعداها في جريانها في السماء . والإشارة إليها توحي بالضخامة . وهو الظل المراد إلقاؤه في هذا الجو" ([1])

وقسم باليوم الموعود، وهو يوم الحشر الأكبر الموعود في قوله تعالى (ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه) أقسم سبحانه بعظم ذلك اليوم الذي يفصل فيه بين البر والفاجر والحاكم والمحكوم، ويضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا

---

(1) في ظلال القرآن

تظلم نفس شيئا، وإن كان مثقال حبة من خردل، أتى به سبحانه، وكفى به حسيبا، قال سيد قطب الشهيد : وهو يوم الفصل في أحداث الدنيا ، وتصفية حساب الأرض وما كان فيها . وهو الموعود الذي وعد الله بمجيئه ، ووعد بالحساب والجزاء فيه؛ وأمهل المتخاصمين والمتقاضين إليه . وهو اليوم العظيم الذي تتطلع إليه الخلائق ، وتترقبه لترى كيف تصير الأمور "([1])

والقسم الثالث: قسم بالشاهد والمشهود، قسم بالشهادة الحق التي تكون يوم القيامة، اليوم الذي تعرض فيه الأعمال والخلائق،ويظهر للجميع ما كان مستورا عن الأبصار، وتكون الشهادة الحق من قبل الأنبياء على أقوامهم، ومن الملائكة الكرام الكاتبين على الناس، ومن أعضاء الإنسان على نفسه، كما قال سبحانه (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) فتكون الفضيحة للمجرمين على رؤوس الأشهاد (ويل يومئذ للمجرمين) قال الشوكاني في تفسير

---

(1) في ظلال القرآن

الشاهد والمشهود: "وشاهد ومشهود" المراد بالشاهد من يشهد في ذلك اليوم من الخلائق: أي يحضر فيه والمراد بالمشهود ما يشاهد في ذلك اليوم من العجائب وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الشاهد يوم الجمعة، وأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه، والمشهود يوم عرفة، لأنه يشهد الناس فيه موسم الحج، وتحضره الملائكة. قال الواحدي: وهذا قول الأكثر. وحكى القشيري عن ابن عمر وابن الزبير أن الشاهد يوم الأضحى. وقال سعيد بن المسيب: الشاهد يوم التروية، والمشهود يوم عرفة. وقال النخعي: الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم النحر، وقيل الشاهد هو الله سبحانه. وبه قال الحسن وسعيد بن جبير، لقوله: "وكفى بالله شهيداً" وقوله: "قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم" وقيل الشاهد محمد صلى الله عليه وسلم لقوله: "فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً" وقوله: "يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً" وقوله: "ويكون الرسول عليكم شهيداً" وقيل الشاهد جميع الأنبياء لقوله: "فكيف إذا جئنا من

كل أمة بشهيد" وقيل هو عيسى ابن مريم لقوله: " وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم " والمشهود على هذه الأقوال الثلاثة إما أمة محمد، أو أمم الأنبياء، أو أمة عيسى. وقيل الشاهد آدم. والمشهود ذريته. وقال محمد بن كعب: الشاهد الإنسان لقوله: "كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً" وقال مقاتل: أعضاؤه لقوله: "يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون" وقال الحسين بن الفضل: الشاهد هذه الأمة، والمشهود سائر الأمم لقوله: "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس" وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو آدم، وقيل الأيام والليالي. وقيل الشاهد الخلق يشهدون لله عز وجل بالوحدانية، والمشهود له بالوحدانية هو الله سبحانه" ([1])

أقسم سبحانه هذه القسمات الثلاثة المهمة التي توحي بعظمة الخالق الأحد الصمد والرهبة والخوف من المشهد الرهيب ليوم القيامة، أقسم على ماذا؟ أقسم على مصرع الطغاة

([1]) فتح القدير للشوكاني

الجبابرة الذين أخذتهم العزة بالإثم، وعلى وخيم عاقبتهم وسوء متقلبهم،

اللعنة على المجرمين وشناعة فعلهم:

قال سبحانه وتعالى (قتل أصحاب الأخدود) هذا بيان للمصير المحتوم والمنقلب السئ الذي يصير إليه المجرمون، إنهم ملعونون مطرودون مبعدون عن رحمة الله في الدنيا والآخرة، وهذا هو المقسم عليه، وبعضهم يقولون إن المقسم عليه هو قوله سبحانه: (إن بطش ربك لشديد) لأن الجواب يلزم أن يكون مؤكدا، وقال المفسر أمين أحسن الإصلاحي في كتابه الشهير "تدبر قرآن" : إن جواب القسم محذوف لوضوحه، وهو أن الساعة آتية لاريب فيها، وأما قوله سبحانه : (قتل أصحاب الأخدود) فهو بيان للنتيجة الوخيمة وسوء المنقلب للظالمين، والمصير المحتوم للطغاة المتجبرين في كل زمان ومكان،([1])

ومعنى قتل: أي لعن وهلك، قال ابن عباس : كل شيئ في القرآن "قتُل" فمعناه :لعن، مثل قوله تعالى: (قتل الإنسان ما

---

(1) راجع تدبر قرآن للإصلاحي

أكفره) قال الشوكاني: "قتل أصحاب الأخدود" هذا جواب القسم، واللام فيه مضمرة، وهو الظاهر، وبه قال الفراء وغيره، وقيل تقديره: لقد قتل، فحذفت اللام وقد، وعلى هذا تكون الجملة خبرية، والظاهر أنها دعائية، لأن معنى قتل لعن. قال الواحدي: في قول الجميع، والدعائية لا تكون جواباً للقسم، فقيل الجواب قوله: "إن الذين فتنوا المؤمنين" وقيل قوله: "إن بطش ربك لشديد" وبه قال المبرد: واعترض عليه بطول الفصل وقيل هو مقدر يدل عليه قوله: "قتل أصحاب الأخدود" كأنه قال أقسم بهذه الأشياء أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود، وقيل تقدير الجواب: لتبعثن، واختاره ابن الأنباري" ([1])

وقال السيد قطب الشهيد: "وتبدأ الإشارة إلى الحادث بإعلان النقمة على أصحاب الأخدود:(قتل أصحاب الأخدود . وهي كلمة تدل على الغضب . غضب الله على الفعلة وفاعليها

---

(1)) فتح القدير للشوكاني

. كما تدل على شناعة الذنب الذي يثير غضب الحليم ، ونقمته ، ووعيده بالقتل لفاعليه .... قتل أصحاب الأخدود ، واستحقوا هذه النقمة وهذا الغضب ، في الحالة التي كانوا عليها وهم يرتكبون ذلك الإثم ، ويزاولون تلك الجريمة " (1)

(إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) هذه الآية تدل على قساوة قلوبهم وضراوتهم ووحشيتهم وهمجيتهم، لأنهم جلسوا يشهدون أطوار التعذيب بالمؤمنين والمؤمنات واحتراق الأجسام بالنار،كأنما تبلد إحساسهم وماتت إنسانيتهم وانتزعت الرحمة من قلوبهم وهم يشاهدون هذا المنظر الفظيع في لطف وسرور ولذة وسعار، قال السيد قطب الشهيد"

" وهو تعبير يصور موقفهم ومشهدهم ، وهم يوقدون النار ، ويلقون بالمؤمنين والمؤمنات فيها وهم قعود على النار ، قريبون من عملية التعذيب البشعة ، يشاهدون أطوار التعذيب ،

---

(1) في ظلال القرآن

وفعل النار في الأجسام في لذة وسعار ،كأنما يثبتون في حسهم هذا المشهد البشع الشنيع "([1])

سبب العداوة بين المؤمنين بالله والطغاة المجرمين:

(وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أي ماكان لهم ذنب ولا جريمة إلا أن آمنوا بربهم العزيز الحميد وكفروا بالطاغوت، كما قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ! الإقرار بالتوحيد لرب السماوت والأرض والشهادة بأنه لا إله إلا هو ، هو الإله المعبود ، رب السماوات والأرض وما فيهن، بيده ملكوت كل شيئ، والكفر بالطاغوت، جريمة كبيرة عند الكافرين وعبدة الطاغوت، وأهل السلطة الذين يريدون في الأرض علوا وفسادا، إنهم يعرفون ويدركون أن كلمة "لا إله إلا الله" ليست كلمة على اللسان فحسب، بل هي سهم مسدد إلى جاهليتهم وكبريائهم، ونعي لغطرستهم وقضاء على نظامهم الباطل، فتهتز الأرض من

---

(1)) في ظلال القرآن

تحت أقدامهم ويأرق نومهم، فيقومون قيامة الجاهلية ويبذلون كل ما عندهم في سبيل الحفاظ على نظامهم وكبريائهم، ويخرجون بكل حد وحديد (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم، إن هذا لشيئ يراد) وأما المؤمنون الذين آمنوا بربهم فيصمدون ويصبرون ويقولون ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا، تتحرك الدنيا وتضطرب من حولهم فيتشبتون بصخرة عقيدتهم التي لا تتزلزل ولا تتزعزع مهما كانت الظروف والأوضاع، تعضهم المحن والشدائد وتطحنهم المعاناة والبلايا فلا يخافون ولا يفزعون، وقال تعالى: فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين) نعم، يحب الله هذه الفئة والثلة القليلة الصامدة الفتية الشامخة الأبية، إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا

لقد سجل التاريخ مشاهد كثيرة لهذا السبب الذي اشتد لأجله الصراع بين المؤمنين المستضعفين والكافرين المتجبرين،

وهو صراع العقيدة والإيمان مع الكفر والطغيان في أرض الله، وقد ذكر القرآن الكريم رؤية صادقة لمصارع الجبابرة الطغاة الذين كفروا بالله ونقموا من عباده وظلموهم وبغوا عليهم، (أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم، كانوا أكثر منهم قوة وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق، ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله، إنه قوي شديد العقاب) وينتهى هذا الصراع دائما على انتصار الحق واندحار الباطل، النصر المؤزر للفئة المؤمنة والعاقبة الأليمة للكفرة الظلمة،

الإبتلاء للمؤمنين سنة الله:

إن طريق الحق، وطريق الايمان بالله وطريق الدعوة الى الله شاق مرير ومملوء بالتكاليف التي يطلب لها الصبر والاستقامة،وطريق الجنة التي لا تنال بالأماني وبكلمات اللسان محفوف بالمحن والمعاناة المستمرة والنضال والجهد والكرب، والمسير فيه طويل، وأهواله ومخاوفه كثيرة،وليس قبول الحق

لعقة على اللسان، لا يتقدم إليه إلا جاد مخلص هانت عليه نفسه ومطامعه، يتقدم اليه من يكون همه الجنة وبغيته الآخرة، قال تعالى (الم أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) يقول السيد قطب الشهيد :" إن الايمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف،وأمانة ذات أعباء،وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال، فلا يكفى أن يقول الناس "آمنا" وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به....إن الايمان أمانة الله فى الأرض، لا يحملها إلا من هم أهل لها، وفيهم على حملها قدرة، وفى قلوبهم لها تجرد وإخلاص، وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة،وعلى الأمن والسلامة،وعلى المتاع والاغراء، إنها لأمانة الخلافة فى الأرض، وقيادة الناس الى طريق الله،وتحقيق كلمته فى عالم الحياة، فهى أمانة كريمة

وهى أمانة ثقيلة، ومن ثم يحتاج إلى طراز خاص من يصبر على الابتلاء" ([1])

وقال تعالى :(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) ومقتضى الايمان بالله ومعرفة الحق أن يكون الرجل من الثبات والصمود والاستقامة بحيث لا يكنى ولا يلَوِّح ولا يلين ولا يستكين ولا يحابي ولا يداهن، (وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) فما يجد المؤمن الحق الصابر المحتسب فى سبيل الله من المصائب والمتاعب إلا ما يتوقعه ويرجوه، لا يتزعزع ولا يتزلزل بل يقول فى صدق وطمأنينة(هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله وما

([1]) (فى ظلال القرآن:/ ٢٧٢٠)

زادهم الا إيمانا وتسلبما) وما زاده كل ذلک الا متانة فی العقبدة وحمية للدين،ومقتا للكفر وأهله، وبغضا للباطل وأعوانه، واشعالا للعاطفة وتمحيصا للنفس، حتى يكون كالتبر المسبوک واللجين الصافی، ويخرج من كل محنة وبلاء خروج السيف بعد الجلاء،

هذا، ويوجد صنف من الناس لا يثبت فی هذه المعركة المفتوحة بين الحق والباطل، وبين مقتضيات الايمان وشهوات النفس، بين طموح الدعوة ومطامع الدنيا، بين القيم العليا وسفاسف الأخلاق، ولا يقوون على مواصلة المسير،فهذا أغرته الدنيا،وذلك أرهبه العدو، وآخر لم يستطع الثبات مع تغير الأحوال، وذلک مستمر منذ عهد النبوة الى يومنا هذا، ولقد شدد الله عزوجل وأنزل صواعق الانذار والتشديد فی المتلجلجين المتزعزعين على طريق الايمان، فقال عزوجل(ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة، ذلک هو الخسران المبين) فليس العقيدة والايمان صفقة فی سوق

التجارة توزن بميزان الربح والخسارة بل العقيدة كما يقول السيد الشهيد: إن العقيدة هى الركيزة الثابتة فى حياة المؤمن تضطرب الدنيا من حوله فيثبت هو على هذه الركيزة، تتجاذبه الأحداث والدوافع فيتشبث هو بالصخرة التي لا تتزعزع، هذه هى قيمة العقيدة فى حياة المؤمن،ومن ثم يجب أن يستوى عليها، متمكنا منها،واثقا بها، لا يتلجلج فيها، ولا ينتظر عليها جزاء" ([1])

مشاهد الصراع في تاريخ الأنبياء:

يشهد تاريخ الدعوة والأنبياء أنه ما دعا أحد إلى الإيمان بالله والكفر بالطاغوت إلا خولف وأوذى من قبل عبدة الطاغوت وأولياء الشيطان، لقد قال ورقة بن نوفل قولة حق لأنه كان يعرف تاريخ هذا الصراع إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "ليتنى كنت جذعا إذ يخرجک قومك" فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم متحيرا: " أومخرجي هم" فقال: "ما دعا أحد إلى هذا إلا أوذى وخولف" وصدّق الصراع الذى دار بين النبي

(1) (فى ظلال القرآن)

صلى الله عليه وسلم وبين طغاة مكة ما قال ورقة، ونذكر بعض الأمثلة من تاريخ الأنبياء الذي يحكى لنا هذا الصراع المستمر بين الأنبياء وأتباعهم وبين ملأ من قومه،

1- نرى في دعوة نبي الله نوح أنه دعا إلى الإيمان بالله وحده والكفر بالطاغوت ، شق ذلك على الطغاة المتجبرين والملأ من قومه، (فقال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) (الأعراف) وناضلوه بالعداء : (يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) (هود) ويحكي لنا القرآن أنهم هددوه قائلين (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين) وأما نوح عليه السلام فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ثابتا صامدا، وكان من ثمرة جهده في هذه الفترة الطويلة (ما آمن معه إلا قليل) (هود) وأما الأغلبية فأحبو العمى على الهدى وتركوه مستكبرين قائلين : (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) وكانت نهاية هذا الصراع ما قال سبحانه في كتابه : (ثم أغرقنا بعد الباقين)(الصافات) و (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك) (هود)

2- ولم يكن في دعوة هود مع قومه إلا نفس الصراع (إذ قال يا قوم اعبدوا الله...) عارضوه وقالوا (إنا لنراك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين) (الأعراف) وردوا عليه دعوته (أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) (الأعراف) وقالوا له بصراحة (سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، إن هذا إلا خلق الأولين ومانحن بعذبين) (الشعراء) واستكبروا عن الإيمان به مغترين بقوتهم، قال سبحانه (وأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة) (حم السجدة) وكانت نهاية هذا الصراع حسب القضاء المحتوم عند الله عزوجل، هلاك المجرمين المنكرين الذين استكبروا على نبيه وخزيهم في الدنيا والآخرة، ونجاة المؤمنين الذين صدقوه وفوزهم بالحسنى ورضا ربهم ، قال سبحانه : (فكذبوه فأهلكناهم) (الشعراء) وقال (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية) (الحاقة) وسجل القرآن هذا المصرع عظة وعبرة، (وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا

رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد، وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة، ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود) (هود)

3. وأما قوم لوط!! وما أدراك ما قوم لوط! قوم غاصوا في الفواحش والمنكرات إلى أذقانهم حتى ألجمتهم إلجاما، وكانوا يأتون في نواديهم المنكر جهرا، دعاهم نبى الله إلى الإيمان وترك الفوحش والمنكرات وإلى الطهارة في الحياة والسلوك، فقالوا (أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) (الأعراف) ولم تقبل طبائعهم الدنسة التي كانت تستحلي المر وتستطيب الخبيث هذه الدعوة النزيهة الطاهرة، فهددوا النبي لوطا عليه السلام حيث قالوا (لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين) (الشعراء) واستمروا فى غوايتهم ونجاستهم وطغيانهم يعمهون، فكانت النهاية ..(وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) (النحل) و (لما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود) (هود)... ونُجّى المؤمنون المتطهرون برحمة من ربهم (إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين) (الصافات)

4- وأما قوم صالح فلم يقبلوا دعوة التوحيد وقالوا له (يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) (هود) وحينما دعاهم (قالوا إنما أنت من المسحرين ما أنت إلا بشر مثلنا) (الشعراء) وأعرضوا عنه (وأما ثمود فاستحبوا العمى على الهدى) (حم السجدة)وكانت نهاية هذا الصراع هلاك المجرمين (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جثمين) (الأعراف) وقال سبحانه (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها)

5 -أما أصحاب الأيكة وهم قوم شعيب دعاهم نبيهم إلى الإيمان والتوحيد والعدل والسلوك القويم، فقالوا: (إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا) (الشعراء) وقالوا له مستكبرين (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا) (الأعراف) وهددوه قائلين (لولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) (هود) واقتنعوا بجهلهم وضلالهم وغيهم (قال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون) (الأعراف) وكانت نهاية هذا الصراع...كما ذكر سبحانه (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين كأن لم

يغنوا فيها..) (أعراف) وحق قول الله عزوجل (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين) (النحل)

6- كذلك كان الصراع شديدا بين ابراهيم وقومه وأبيه، فقد دعا أباه برفق ولين وحزم فكان جواب أبيه : (قال أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا) وآذاه قومه حتى قالوا بغاية من الوقاحة والقسوة متمادين في طغيانهم وضلالهم (حرقوه وانصروا آلهتكم) (الأنبياء) وكان تهديدهم وفعلتهم مثل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود، وكانت نهاية هذا الصراع أن جعل الله سبحانه كيدهم في نحورهم وخر عليهم السقف من فوقهم، قال سبحانه (فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين) (الصافات) وأما النار المتأججة التي أوقدوها لسيدنا إبراهيم فأصبحت بردا وسلاما على إبراهيم قال تعالى : (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم)

وفي كتاب الله تعالى عبر كثيرة ومشاهد عديدة أخري مثل قصة الطاغية جبار الأرض فرعون الملعون المطرود الذي علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبنائهم ويستحي نسائهم، والذي تجاوز حد الطغيان إذ قال عنه: (مالكم من إله غيري) فقد جعل نفسه إلها يعبد من دون الله، كما إستهزء بنبي الله موسى ، فقال : (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) وهدّد المؤمنين المستضعفين (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين) وانتهت قصة طغيانه وتماديه وظلمه وبطشه باغراقه في اليم، كما قال سبحانه القادر الجبار(وأنجينا موسى ومن معه أجمعين، ثم أغرقنا الآخرين) الشعراء وبقي الطاغية المتكبر وقصته عبرة لمن بعده (فاليوم ننجيك ببدنك لمن خلفك آية)

وكذالك الصراع بين إلياس وقومه... والصراع بين يونس وقومه ... والقرآن يحكى قصص صراعات كثيرة، هذه كانت بعض النماذج... وحينما دعا سيدنا الصطفى صلى الله عليه وسلم أوذى فى سبيل الله لم يؤذ أحد قبله ولا بعده مثل ما

أوذي، دعا طغاة مكة المستكبرين فكان جوابهم مثل الأولين (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة إن هذا إلا إختلاق) (وانطلق الملأ منهم أمنشوا واصبروا على آلهتكم..) (ص)

هذا هو غيض من فيض ولمحات موجزة من تاريخ الصراع بين المنكرين المتجبرين وأصحاب السلطة الظالمين وعباد الله المستضعفين الممتحنين .. حتى انتصر الإيمان وكانت كلمة الله هي العليا

النصر محتوم للمؤمنين والخزي للكافرين

(إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلانْهَٰرُ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ

بعد ذكر هذا لصراع الذي لم يكن له أي مبرر سوى (أن يؤمنوا بالله) ذكر سبحانه وتعالى قاعدة أصولية وقانونا عادلا

لنصره المؤمنين وانتقامه من المجرمين ، أن الذين حرقوا المؤمنين وأذاقوهم صنوف العذاب لهم عذاب الحريق والخلود (وأتبعوا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين)(قصص) قال سبحانه (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا) قال الحسن البصري: "أنظروا إلى هذا الجود والكرم ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة)

ومن سنة الله تبارك وتعالى أنه ينصر دينه وأعوانه وتكون العاقبة للمتقين كما قال سبحانه (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) (المجادلة) وقال (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) (الروم) وقال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) (الصافات) ومن عاداه وعادى أولياءه وكفر به من أولياء الشيطان أُخِذُوا أخذا شديدا من المنتقم جبار السماوات الأرض الواحد القهار (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وقال تعالى (كذبت

قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) (ص)

وإن النصر محتوم من عند الله سبحانه لعباده المؤمنين وإن يتأخر فلمصالح لا يعلمها إلا هو، والخزي للكافرين المجرمين والظالمين الطغاة في الدنيا والآخرة، وذلك يتضح في كتاب الله بما يلي:

- ثبوت الحق مهما ضعف وانحماق الباطل مهما كانت له صولة وجولة، كما قال سبحانه (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ) قال السيد قطب الشهيد:

"إن الماء لينزل من السماء فتسيل به الأودية، وهو يلم في طريقه غثاء، فيطفو على وجهه في صورة الزبد حتى ليحجب الزبد الماء في بعض الأحيان . هذا الزبد نافش راب منتفخ . . ولكنه بعد غثاء. والماء من تحته سارب ساكن هاديء . . ولكنه هو الماء الذي يحمل الخير والحياة . . كذلك يقع في المعادن التي تذاب لتصاغ منها حلية كالذهب والفضة،أو آنية أو آلة نافعة للحياة كالحديد والرصاص فإن الخبث يطفو وقد يحجب المعدن الأصيل . ولكنه بعد خبث يذهب ويبقى المعدن في نقاء . . ذلك مثل الحق والباطل في هذه الحياة . فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابيا طافيا ولكنه بعد زبد أو خبث، ما يلبث أن يذهب جفاء مطروحا لا حقيقة ولا تماسك فيه . والحق يظل هادئا ساكنا . وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات . ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء المحيي والمعدن الصريح ، ينفع الناس . (كذلك يضرب الله الأمثال)وكذلك يقرر مصائر الدعوات ، ومصائر الاعتقادات . ومصائر الأعمال والأقوال، وهو الله الواحد القهار ، المدبر للكون والحياة،

العليم بالظاهر والباطن والحق والباطل والباقي والزائل . ..فمن استجاب لله فله الحسنى([1])

- حسرة أهل الباطل على ما أنفقوا في نصرة باطلهم، قال تعالى (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله، فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) ودائما يخسر الباطل في محاربة الحق، مهما دندن أعوانه وأهله وسعوا لإطفاء نور الحق، قال السيد قطب: والكفار ينفقون أموالهم ليتعاونوا على الصد عن سبيل الله . . هكذا فعلوا يوم بدر ، على نحو ما ذكرنا في سياق الحديث عن الموقعة من كتب السيرة . . وهكذا ظلوا بعد بدر يستعدون للوقعة التالية . والله ينذرهم بالخيبة فيما يبغون وبالحسرة على ما ينفقون ، ويعدهم الهزيمة في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة"[2]

---

(1) في ظلال القرآن

(2) في ظلال القرآن

- وعد الله سبحانه للمؤمنين بالإستخلاف والتمكين في الأرض، قال سبحانه(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لسيتخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (النور)
- إنتصار الحق على الباطل بتأييد الله سبحانه، هو الذي وعد المؤمنين بالنصر والتأييد وتولى بنصرة الحق وأعوانه، وهو الذي يمحق الباطل، ويقذف بالحق عليه فيدمغه فإذا هو زاهق، قال سبحانه (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) (المجادلة) وقال سبحانه (فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين) قال السيد قطب: "وسبحان الذي أوجب على نفسه نصر المؤمنين ; وجعله لهم حقا ، فضلا وكرما . وأكده لهم في هذه الصيغة الجازمة التي لا تحتمل شكا ولا ريبا . وكيف والقائل هو الله القوي العزيز الجبار المتكبر ، القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير . يقولها سبحانه معبرة عن إرادته التي لا ترد ، وسنته التي لا

تتخلف ، وناموسه الذي يحكم الوجود . وقد يبطئ هذا النصر أحيانا – في تقدير البشر – لأنهم يحسبون الأمور بغير حساب الله ، ويقدرون الأحوال لا كما يقدرها الله . والله هو الحكيم الخبير . يصدق وعده في الوقت الذي يريده ويعلمه ، وفق مشيئته وسنته . وقد تتكشف حكمة توقيته وتقديره للبشر وقد لا تتكشف ولكن إرادته هي الخير وتوقيته هو الصحيح . ووعده القاطع واقع عن يقين ، يرتقبه الصابرون واثقين مطمئنين . " [1]ويتعدد وجوه النصر الإلهي لعباده المؤمنين ،

1-النصر الفكري والعقدي: قد يكون النصر بقوة الحجة وصحة البرهان على الباطل، وهو نصر فكري عقدي، كما نجد في قصة أبراهيم عليه السلام مع الطاغية نمرود الذي حاج إبراهيم في ربه، قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ

---

(1) في ظلال القرآن

قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

قال الإمام الطبري في قوله تعالى:) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) [سورة الصافات، الآيتان: 171، 172]. يقول–تعالى ذكره– ولقد سبق منا القول لرسلنا أنهم لهم المنصورون، أي مضى بهذا منا القضاء والحكم في أم الكتاب، وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج. قال السدي: (إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ) بالحجج. (1)

وقال الطبري في قوله –تعالى–: (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ) أي فجعلنا قوم إبراهيم الأذلين حجة، وغلبنا إبراهيم عليهم بالحجة. (2). وكذلك نجد هذا المعنى في قوله – تعالى: (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ) [سورة الأنعام، الآية: 83]. والرفع هو الانتصار.

---

1 – تفسير الطبري 23/114.

2 – تفسير الطبري 23/75.

2–النصر بالغلبة المباشرة ، وقد يقهر الله الأعداء على أيدي الأنبياء والرسل ومن تبعهم، كما حصل لداود وسليمان، عليهما السلام (وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ)[سورة البقرة، الآية:251]. وقال تعالى (وَكُلّاً آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً) [سورة الأنبياء، الآية: 79].

وكذلك موسى، عليه السلام، نصره الله على فرعون وقومه، وأظهر الدين في حياته، قال سبحانه (وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) [سورة الأعراف، 137]. (فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) [البقرة، الآية: 50].

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم نصره الله نصرا مؤزرا، وأهلك أعداءه في مواقف عديدة، وأظهر دينه، حتى قامت دولة الإسلام وكان الدين كله لله.(إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً) وقال تعالى (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً)

وهذا النوع من الانتصار هو النصر الظاهر، وهو محبب إلى النفوس، وهو النصر العاجل،والنفس مولعة بحب العاجل،

ولذلك قال –سبحانه–: (وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ).([1])

3– النصر بإهلاك الأعداء المكذبين ونجاة المؤمنين:

وقد نجد في كتاب الله عزوجل أنه ينجي المؤمنين وعباده وأولياءه من كيد الأعداء ومكرهم، ويجدف سفينتهم إلى بر الأمن والوئام التي تحيط بها الأخطار والأمواج من المكائد والدسائس، فهو ينجي عباده المؤمنين من كل مكروه ويرد مكر الأعداء الطغاة المجرمين وينتقم منهم لعباده "وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال، فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله، إن الله عزيز ذو انتقام" كما حدث لنوح عليه السلام، حيث نجاه الله وأهلك قومه، (فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) وكذلك قوم هود، (فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ) وقوم صالح،

---

(1) حقيقة الإنتصار : ص 9 / د/ ناصر بن سليمان العمر

(فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) وقوم لوط،(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) وقوم شعيب، (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) إن أخذ المجرمين بالعذاب الأليم نصر عظيم للمؤمنين ، وكبت للمكذبين والمرجفين ، والله يمهل ولا يهمل أبدا(فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

قال الإمام الطبري في تفسير الآية:(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"إما بإعلائنا لهم على من كذبنا، أو بانتقامنا في الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة رسولنا من بعد مهلكهم،كالذي فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه، بتسليطنا على قتلته من سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته، وكفعلنا بقتلة يحيى من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به من قتله له،

وكانتصارنا لعيسى من مريدي قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم (1) "

وإلى ذلك أشارت سورة البروج أن الفوز للمؤمنين، ولهم عند ربهم جنات النعيم، والمتجبرون الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات لهم الويل والعذاب، (إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ)

قال السيد قطب الشهيد: "إن الذي حدث في الأرض وفي الحياة الدنيا ليس خاتمة الحادث وليس نهاية المطاف.فالبقية آتية هناك. والجزاء الذي يضع الأمر في نصابه ، ويفصل فيما كان بين المؤمنين والطاغين آت . وهو مقرر مؤكد ، وواقع كما يقول عنه الله: إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات). . ومضوا في ضلالتهم سادرين ، لم يندموا على ما

1 – تفسير الطبري 74/24.

فعلوا (ثم لم يتوبوا). . (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق). . وينص على الحريق). وهو مفهوم من عذاب جهنم . ولكنه ينطق به وينص عليه ليكون مقابلا للحريق في الأخدود . وبنفس اللفظ الذي يدل على الحدث. ولكن أين حريق من حريق ؟ في شدته أو في مدته ؟ وحريق الدنيا بنار يوقدها الخلق . وحريق الآخرة بنار يوقدها الخالق ! وحريق الدنيا لحظات وتنتهي ، وحريق الآخرة آباد لا يعلمها إلا الله ! ومع حريق الدنيا رضى الله عن المؤمنين وانتصار لذلك المعنى الإنساني الكريم . ومع حريق الآخرة غضب الله ، والارتكاس الهابط الذميم ! ويتمثل رضى الله وإنعامه على الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار). . وهذه هي النجاة الحقيقية :ذلك الفوز الكبير). . والفوز:النجاة والنجاح . والنجاة من عذاب الآخرة فوز . فكيف بالجنات تجري من تحتها الأنهار؟ بهذه الخاتمة يستقر الأمر في نصابه . وهي الخاتمة الحقيقية للموقف . فلم يكن ما وقع منه في الأرض إلا طرفا من أطرافه ، لا يتم به تمامه

. . وهذه هي الحقيقة التي يهدف إليها هذا التعقيب الأول على الحادث لتستقر في قلوب القلة المؤمنة في مكة ، وفي قلوب كل فئة مؤمنة تتعرض للفتنة على مدار القرون" ([1])

صفات الله عزوجل :

(إن بطش ربك لشديد) تتابعت الآيات الكريمة هنا على نفس المنوال يتوعد فيها الجبار بالبطش الشديد والإنتقام العاجل إما في هذه الدار أو في الدار الآخرة من الظالمين المتجبرين، ويعد عباده المؤمنين المضطهدين بالمغفرة والرضوان والود والغفران، يقول الصابونى:

" ذكر تعالى هنا من صفات عظمته وجلاله فى هذه الآيات البينات خمس صفات:

الأولى:شدة العقاب والإنتقام ممن عادى أولياءه (إن بطش ربك لشديد)

(1) أنظر: في ظلال القرآن سورة البروج

الثانية: القوة والقدرة على الإحياء والإماتة والثواب والعقاب،(إنه هو يبدئ ويعيد)

الثالثة:المحبة والمودة للمؤمنين، ومغفرة ذنوبهم (وهو الغفور الودود)

الرابعة: العظمة والسؤدد والعلو والمجد الرفع، (ذوالعرش المجيد)

الخامسة: لا يتخلف عن إرادته مراد، ولا يسئل عما يفعل (فعال لما يريد) ([1])

ففي ذكر هذه الصفات الخمسة هنا تلميح للمعاني المذكورة، تلميح يناسب جو السورة التى تتحدث عن الصراع ونصرة الله المؤمنين وانتقامه من المتعالين المتجبرين،

وهذه الآيات تذكير لكل من يعي الخطاب ، ويفهم الوعظ الجميل بأن يتخلى عن كبريائه ، ويتنازل عن صلفه وغروره ، وإلا فإنّ بطش الرب تعالى غير محتمل ،

---

(1) (قبس من نور القرآن 140/15

وقد ذكر الله في ختام السورة مثالاً لما جرى للفراعنة وثمود ، أما التفصيل ففي مواضع أُخر من الكتاب العزيز .

إذاً مهما أوتي البشر من قوة وقدرة على الإهلاك والتدمير والتعذيب فذاك مغمور أمام قدرة الله وبطشه المخيف المزلزل للقلوب والحناجر بل للأمم والممالك !

ومن أراد أن يتأكد فليتأمل ما جرى لفرعون وقومه من الاستدراج إلى البحار ثم الإغراق المذهل!

وليتأمل ما الذي جرى لثمود حين أخذت الرجفة بمجامع قلوبهم فأسقطتها في أجوافهم .

وليتأمل ما جرى لعاد من تسليط الريح العقيم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فأصبحوا أعجاز نخل خاوية .

وليتأمل ما جرى للقرى اللوطية حين رفعت قراهم إلى عنان السماء ثم نكست رأساً على عقب واتبعت بحجارة من سجيل !

ختام السورة :

ثم ختم سبحانه هذه السورة المباركة بذكر نموذج لهذا الصراع وسنته التى لن تجد لها تحويلا ولا تبديلا، وذكر مثالين من الأحزاب والجنود الذين قصمهم الله لإستكبارهم عن آياته وتعذيبهم لأولياءه وعباده، فرعون الجبار الطاغية وجنوده وملأه، وقوم ثمود الفجار أولوا البأس والشدة والبطش، الذين كانوا أشد بأسا وأعظم قوة وتجبرا من كفار قريش، كما قال تعالى : (فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين) (الزخرف)

(بل الذين كفرو ا في تكذيب والله من وراءهم محيط) أى لم يعتبر قريش بما حل فى الغابرين من أمر الله، كما قال سبحانه (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون) (ص) والله قادر عليهم لا يفوتونه ولا يعجزونه، لأنهم تحت قدرته وفى قبضته (والله من وراءهم محيط)

(بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ) : إشارة إلى عدم انتفاع هؤلاء الكفار بما جرى لأسلافهم من الخزي والنكال إذ لا زالوا سادرين في غيهم ، تائهين في صحراء غرورهم !

وجاء قوله تعالى : (وَاللَّـهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ) عقب ذلك مباشرة حتى لا يصاب حزب الله وأنصار دينه بإحباط أو يأس, ويوقنوا بأنّ كيد هؤلاء ومكرهم مقدور عليه محاط بإرادة وقوة لا تغلب ولاتقهر .! وهذا الكتاب الذى يكذبه المكذبون كتاب عظيم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،وهو محفوظ مصون من الزيادة والتحريف، الكتاب الذى رفع الله به أقواما ووضع به الآخرين فى الأولين والآخرين...ولم يزل كذلك إلى أن يرث الأرض ومن عليها (بَلْ هوَ قُرْآنٌ مَجِيْدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوْظٍ)

وآخر مطاف هذه السورة أنْ ختمها تعالى بالتذكير بالقرآن العظيم الذي من أجله حورب المسلمون، ولأجله حقد الحاقدون، وشنأ الشانئون بيد أنّ ذلك كله لا ينبغي أن يكون مانعاً للمسلمين أن يستمروا على طريقتهم ويتشبثوا بعقيدتهم فإنّ الله ناصرهم ومؤيدهم ومظهرهم على عدوهم.

ومهما تخلى المسلمون عن القرآن وأزاحوه عن العمل والتطبيق ، وعن حياتهم الدستورية والاجتماعية وغيرها فلا يقبل

منهم صرف ولا عدل، ولا هم ينصرون، قال تعالى مخاطبا لأهل الكتاب الذين نقضوا ميثاق ربهم ولم يعملوا بكتابه ولم يؤمنوا بكامله، بل فرقوه ونقضوه، وآمنوا ببعضه، وتركوا بعضه: أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُون،

ولن يفرحوا بوئام العدو ومحبته ، أو على الأقل مهادنته وحياده ! ومصداقية ذلك أنّ مجرد الهوية المسلمة التي يحملها المسلمون كافية لإثارة كوامن أحقاده، وبعث خبيث لؤمه وبغضه وهي حقيقة جلّاها القرآن بقول الله تعالى: وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ)البقرة (120) لذا لا بد من الأخذ بهذا القرآن بكل عزيمة وقوة وجد فهو خيار الأمة الوحيد وحينذاك لن ينال منها عدوها ما تقر به عينه أو يُشفى به صدره !!

فهرس المحتويات

رقم	المحتويات	الصفحة
1	سورة البروج	3
2	مقدمة فضيلة الشيخ سلمان الحسيني الندوي	5
3	مقدمة فضيلة الشيخ د/ مصطفى الطحان	10
4	كلمة المؤلف	14
5	المدخل إلى الموضوع	18
6	ما ورد في فضائل السورة	28
7	المرحلة الزمنية للسورة	31
8	المناسبات في السورة	33
9	سبب النزول للسورة	37
10	إسم السورة	39
11	الإيضاح اللفظي	40
12	الشرح الإجمالي للسورة	47

13	شرح لمحاور السورة	52
14	القسم بالأفلاك والنجوم واليوم الموعود	52
15	اللعنة على المجرمين وشناعة فعلهم	59
16	سبب العداوة بين المؤمنين بالله والطغاة المجرمين	62
17	الإبتلاء للمؤمنين سنة الله	64
18	مشاهد الصراع في تاريخ الأنبياء	68
19	النصر محتوم للمؤمنين والخزي للكافرين	75
20	النصر الفكري والعقدي	81
21	النصر بالغلبة المباشرة	83
22	النصر باهلاك الأعداء المكذبين ونجاة المؤمنين	84
23	صفات الله عزوجل	88
24	ختام السورة	91
25	فهرس المحتويات	94